



— بخير
— لقد فانتى أن أهنتك على نجاحك فى انتخاب
المجالس البلدية الأخير حتى أن زوجى كانت عازمة
على تهنئة مسز بارنت
— يسرنا أن نراكا أنا وزوجى فى أى وقت
تشاءان
— ولكن خبرنى يا سيد بارنت لم تفكر فى
بناء بيت جديد وبيتك الذى أنت فيه الآن فسيح
جميل ، فصمت بارنت قليلاً ثم قال : حسن ؛ إنا نريد
أن نعيش خارج البلدة ، ثم إن بيتى الآن قد قدم
ثم أخذت العربية تنهب بهما الأرض حتى
وصلا أخيراً إلى البلدة فوجدوا الشوارع لا تزال
تفيض بالناس والمصابيح تاقى بأنوارها على واجهات
الحوانيت ، فلما أتيا المنزل أسرع الزوجة
والأطفال إلى الباب يستقبلون رب البيت بعد
غياب النهار كله

فلما رأى بارنت هذا صاح مبتهجاً : « إنك
لا شك سعيد يا « دون » بهذه الزوجة وهؤلاء
الأطفال ، كم أود أن يكون لى بيت كهذا » .

فأجابه دون مبتهجاً : « حسن . نعم إنا نعيش
هنا عيشة هادئة مطمئنة » . فقال بارنت وهو
يحاول إخفاء الشعور بالمرارة والألم : « إن بيتى

كان السائر بمحاذاة التل الشرقى لا يكاد يسمع
رفيقه الذى يسير والتل الغربى ، فقد كانت الأصوات
تغيب وتختفى فى مداخل البلدة التى تفصلهما .
أما فى الليل فقد كان سكان تلك البلدة يسمعون
أولئك الفلاحين الذين يملأون الجو غناء وصغيراً .
وقد اتخذ الناس هذين التلين طريقاً للوصول
إلى البلدة . فى ذات مساء قبل أن يربداً لون الشفق
ركب رجل نعابه وأخذ يتدحرج من ذلك التل
الشرقى إلى البلدة وقد حمل فى يده حقيبة صغيرة
ومظلة ، ولكنه لم يكدهمضى فى طريقه حتى سمع
صوتاً يقول : « مرحى « دون » ! أهو أنت ؟ »
ثم وقف الشاب الأنيق المنرف بمرسته وقال : « هيا
اصعد حتى تصل إلى دارك »

فالتفت الرجل إلى مصدر الصوت فحيا صاحبه
مبتسماً وقال : « أشكرك يا سيد بارنت » ، ثم
ركب معه

كان بارنت أكثر غنى وأنعم عيشاً من صاحبه
« دون » المحامى الناشئ ، إذ كان أبوه من كبار
تجار الصوف فاستطاع أن يجمع ثروة طائلة أصاب
الابن بعضها بجانب ثقافة عالية وخلق سمح كريم .
ثم أخذ الصديقان يتجادلان فقال « دون » :

— كيف حال مسز بارنت ؟

الذي أقيم فيه صالح لي كما تقول ، فقد بناه جدى منذ عهد بعيد ونشأ فيه والدى وقد ولدت فيه أنا وقضيت فيه سنى شبابهى ولكنى أشعر الآن بالحاجة إلى منزل جديد »

— لماذا ؟

— سمياً وراء الهدوء ، إنى أطلب السعادة فلا أجدها

ثم هم «دون» بالدخول فتتمتر في المظلة والمحفظة فزات قدمه وهوى على ركبتيه ، فأسرعت اليه زوجه ، وقد تجاهات وجود بارنت وأعانتة على الوقوف ثم قبلته قائلة : أرجو ألا يكون قد أصابك شيء يا عزيزى . أما الأطفال فقد أحاطوا بالدم وهم بصيغون : « بابا بابا » فقال بارنت وهو يدير عينيه بين الزوجة والزوج : لا بأس ، ثم حياها وانصرف ، وقلبه يتلفت إلى تلك المرأة

عاد بارنت الى منزله فلم يجد زوجه إذ علم من الخادم أنها ذهبت الى «الخطاطة» . فصاح الرجل متعجباً : « أى خطاطة فى مثل هذا الوقت ؟ »

— لقد تناولت غداءها وخرجت وهى تعتذر

لك عن صحبتها هذا المساء

— والسكنها كانت تعلم بمجيئى الليلة

— نعم ياسيدى

— اذهبي اليها وأخبريها بأمرى

ثم جلس بارنت إلى المائدة يتناول عشاءه فى تراخ وكسل ، ومسرعان ما تذكر صديقه «دون» وحياته السعيدة ثم أخذ يقارن بين الحياتين ، ثم نهض أخيراً وقد امتلأت نفسه حنقاً ودلف الى الخارج ، وكانت الشوارع لا تزال تفيض بالأنوار تحييه كلما أبصر اسم أسرته على إحدى واجهات

الحوائت ، فذكرته هذه المناظر بما كان عليه والده من مجد وشهرة . ثم مضى فى طريقه حتى وصل الى منزل صاحبه «لوسى» . فلما رآه اندفع الدم الى وجهها وألقت عليه نظرة كلها دهشة واستخفاف ؛ فلما رأى بارنت منها هذا قال : « إنى أعرف أنه ليس لي عمل هنا ، ولكنى شعرت برغبة قوية الى رؤيتك والاطمئنان عليك . هل لك أن تمنحني يدك لترى كم من صرة أمسكنها »

— إنى أفضل أن أنسى الماضى لأن أذكره فانى لا أجده فيه ما يستحق الذكر أو يسمح لك بالجيء الى هنا

— ولكن ليس فيه ما يؤلم . انى لا أضايقك كثيراً يا «لوسى»

— إنى لم أشرف حقاً بزيارتك من مدة ، ولكنى لم أكن أنتظرها الآن . أرجو أن تكون مسر بارنت بخير

— نعم . نعم . أو على الأقل أظن هذا

-- كيف هذا وهى زوجك ؟

وفى هذه اللحظة أيقظت كلمات ذلك الزائر الفضولى «كناريا» كان ينام فى قفصه ، فهب الطائر مذعوراً وأخذ يضرب القفص بجناحيه ، فذهبت إليه لوسى ودنت منه وتمتمت ببعض الكلمات . فسكن الطائر إليها وعاد إلى هدوئه الأول . والحقيقة أنها عمت هذا الترحيح نفسها من عناء الحديث مع ذلك الضيف

ثم استطرد الرجل قائلاً :

« إنى لم آت لأتحدث عن مسز بارنت بل أتيت لأتحدث عنك أنت وحدك ولأقف على حالك منذ ذلك المصاب العظيم » . قال هذا وهو يلتفت

إلى سورة أبيها التي كانت معاقبة على الحائط
— لا بأس ؛ أشكرك

— ماذا كنت تعملين عندما جئت إلى هنا؟
أنظر زين الأزهار ؟ — وعلى ضوء الشمعة ؟

— كنت أعمل الحوائش فقط . أعمل هذا
ليلاً توفيراً للوقت . فاني ملزمة بانجاز ثلاثين غطاء
في نهاية هذا الشهر

فنظر إليها بارت وقال بصوت المشفق عليها :
« حرام أن تجهدي عينيك هذا الاجتهاد —
لا . إني أفضل العمى على أن أرى هذا بعيني »

فصاحت لوسى في وجهه : « وهل هذا هو
الوقت والمكان اللذين تذكر فيهما هذه الأشياء —
لقد اعتدت أن تحترمني وتحترم نفسك . أرجو
ألا تنطق بمثل هذا الكلام وألا تأتي إلى ثانية .
فاني لا أظن أن زيارتي ذات بال عندك »

— ذات بال ؟ لقد أتيت لأرى صديقاً قديماً
عزيزاً — لا لأن أذكر هذه الأشياء . ولقد أتيت
لزيرة المرأة التي أحب ؛ فلا تنصبي ، فاني لا أستطيع
أن أمتنع هذا . إن كثيراً من الأشياء قد دفع بي
إلى هنا — فقد حدث في هذا المساء أن قابات
صديقاً ، فلما رأيت ما ينعم فيه ذلك الصديق من
حياة منزلية هائلة ، مع أن إirاده لا يصل إلى
عشر إيرادى استولى على شعور غريب دفعني إلى
هنا . أم إنه مصيرى الذى ساقنى إلى هذا . إني
لا أعرف كيف أفلت منى . فقد كنت المرأة التي
كان يجب أن تكون زوجتى ، ولكنى تركتك
تفلىتن . بالى من أحق !

فأجابته لوسى ، وقد اغرورت عينها
بالدموع : « لا تثر هذا الموضوع من جديد .

إني مخطئة أن أشاركك هذا الحديث . يجب ألا
تأتى إلى هنا . إني أخشى الفضيحة

— حقاً . ليس لى حق فى هذا ، سوف
لأعود ثانية

— إنه لمن حق الطبيعة البشرية أن يظن
الانسان أن الطريق الذى لم يسلكه هو الأصوب .
فتندم الآن قبل أن تعرف إذا كنت أرضى
بك زوجاً

وفى هذه اللحظة التقت عينها بعينه فلم تقو
على النظر إليه وخانها صوتها ، ثم صمتا برهة ،
وأخيراً استأنفت لوسى كلامها فقالت : « إني
دونك جاهلاً ومالاً . لذلك لم يكن أمر زواجنا
ميسوراً ، والآن أرجو أن تتركنى »

— أجل ولكنى لن أقابل فتاة أعز منك .
ثم مضى

وفى اليوم الثانى جاء « دون » لزيارة صديقه
بارنت فلم يكده يدخل البيت حتى رأى مسر بارت
خارجة من المنزل ، فالتفت إلى صديقه وقال :
« أود أن يصلح أمركم قريباً »

— إذن لقد سمعت بنها الانفصال الأخير ؟
خاول « دون » أن يخفى سروره فى قلبه بأن
قال وهو يتظاهر بالأسف : « لا . لم أسمع عن شيء
مهم . لكن لدى بعض أخبار غامضة عن ذلك »

— قد تظن أن الأمر تافه ، ولكنى أرى
فيه غير ذلك ، والآن كيف حال زوجك وأطفالك ؟
— بخير أشكرك ، فقد خرجوا اليوم كلهم

للزفة . إنك عصبي المزاج يا سيد بارت ، وإني
لأذكر أيام التلهة ، وكيف كنت تنور إذا مارس
أحد شعورك بكلمة

— أجل إنك مصيب يا صاحبي ، وهذا راجع إلى أني أطلب دائماً الهدوء في المنزل فلا أجده ، فلو أني ظفرت به لكان عليّ كل شيء آخر

— لقد فكرت أكثر من مرة في إصلاح ما بينك وبين زوجك ، ولكني لا أدري إذا كانت هذه الفكرة تروقك ، على كل حال سأعرضها عليك ولك أن تأخذ بها أو تتركها ، والحق أن زوجي هي صاحبة الفكرة ، فقد رأت أن تذهب إلى مسز بارنت وتتفاهم معها . إنني واثق من أنهما ستصلان إلى نتيجة مرضية . فان زوجي لها قدرة عجيبة على كسب بنات جنسها

— وبني جنسها أيضاً ، إنها امرأة ذكية الفؤاد عظيمة التأثير ، وإنك لحسن الحظ بها

— قد يكون هذا ، إن زوجي مستعدة للقيام بهذه الوساطة إذا وثقت أنها جديرة بمركز مسز بارنت الاجتماعي

— إنني أشكرك كثيراً ، ولكنني أخشى ألا نصلا إلى نتيجة ، ثم حياه وانصرف

وفي ذات يوم كانت السيدتان راكبتي قارباً صغيراً يقطع بهما عرض النهر جيئة وذهوباً .

بينما كانت السيد بارنت في طريقه إلى منزل « لوسي »

كانت « لوسي » في حديقة المنزل تقطف بمض الأزهار عندما دنا منها بارنت ، فلم تكذب تراه حتى قالت له في ابتسامة عذبة رقيقة وهي تمد يدها إلى إحدى الزنابق الحمراء : « لقد ذكرت لك كثيراً يا سيد بارنت منذ أن تركتك زوجك ، وها أنت هنا ... »

— نعم « لوسي »

— إلى أين أنت ذاهب الآن ؟

— إلى الميناء

— طبعاً . لقد بدأت طلائع الصيف وأخذ الناس يهرعون إلى الشواطئ

— لوسي . أراك اليوم ضامرة العود ، صاحبة الوجه — خبريني هل يمكنني أن أساعدك . إن الجو اليوم صفو والهواء رخاء عليل

ثم مضى ، ولكنه لم يكذب يذهب بعيداً حتى هبت عاصفة شديدة غيرت وجه الطبيعة ، فبدأت بحيفة غاضبة ، وعندما وصل إلى الميناء تقدم إليه أحد البحارة وهو يقول : « خطب عظيم يا سيدي »

— ما هذا يا رجل ؟

— لقد ركبت اليوم سيدتان هما مسز بارنت ومسز دون أحد القوارب طلباً للنزهة ، ولكنهما لم يبتعدا عن الشاطئ كثيراً حتى هبت عاصفة شديدة أطاحت بالقارب بعيداً فانكفأ على من فيه

— أين ؟

— أسرع إلى تلك الصخرة واطلب من ذلك الصبي الواقف هناك أن يدلّك على مكان الحادثة

— وهل أنقذت السيدتان ؟

— لقد أنقذوا واحدة

— من ؟

— مسز بارنت ، أما مسز دون فيخشى أن تكون قد غابت في جوف النهر ، فأسرع بارنت إلى مكان الحادث فرأى جماعاً من الناس قد تجمعوا هناك ، فنفذ وسط ذلك الجمع ، وهناك رأى امرأة ملقاة على الرمال يعلو بدنها ثوب بنفسجي وفي يديها قفاز أصفر فمرفأها زوجها

عاد الرجل بزوجه إلى المنزل ودعا إليها بعض

فأخذ ينظر إلى زوجه المسجاة في صمت وذهول ؛
لقد كانت تكبره بسنوات ، ولكنها لم تخط بعد
سن الشباب ، فأخذ يتفرس فيها ، فرأى قسبات
وجهها أكثر فتنة وسجراً ، ورأى فيها الدقيق
وشفتيها الرقيقتين قد التصقتا ، وجبينها
المشرق الوضاء يموج فوقه شعر أسود جميل ،
فصاح متعجباً : « إن هذا الجمال لن يموت ! »
ثم عاد ثانية إلى النافذة فرأى الدخان لا يزال
يتصاعد من المدخنة في بيت صديقه ، ورأى
« الكناري » لا يزال في القفص ، فهجمت عليه
الذكريات القديمة ، وأخذ يفكر في زوجه
ولوسى ونفسه

قضت الزوجة أسبوعاً طريحة الفراش ، ثم
فاضت روحها بين يدي زوجها ، فأمرع الزوج
إلى إعداد الجثة ومواراتها التراب ، ولكنه لم يكبد
يهم بالخروج حتى دخل عليه خادمه بخطاب من
صديقه « دون » يقول فيه :

عزيزى بارنت :

رأيت من الأفضل أن أعلمك بأنى سأزوج
من « لوسى » على رغم أنى لم أعلن هذا بين أصدقائى
نظراً للحداد ، وعلى ذلك ستكون هناك حفلة
خاصة ، ولكنى أود أن تشهدها وأن تصحبنا إلى
الكنيسة في الساعة العاشرة . ما

أخذ بارنت يتلو هذا الخطاب مرّة ومرّة ،
ثم وقف قليلاً يفكر في الأمر

لم يكن هذا الرجل بالواهن العزم ، الضعيف
الارادة ؛ بل كان ذا قدرة عظيمة على احتمال
الخطوب والصبر على المكار ، فلم يهن له عزم أمام
هذين الخطيبين اللذين ألباه في تلك اللحظة

الأطباء ، والغريب في أمر هذا الرجل أنه شعر أن
حبه لزوجه هو الصلة الوحيدة التى تربطه بالحياة ،
ثم أمرع إلى صديقه دون في مكتبه ، وماكاد
يفضى إليه بذلك النبأ الفاجع حتى هب الرجل
مذعوراً وبقي واقفاً لا يدرى ماذا يعمل ، ونجاة
أجهش بالبكاء فجذبه بارنت من يده وذهبا معاً
إلى الميناء ، حيث بقيا زمناً ينتظران إخراج الجثة ،
ولكن النهر كان لا يزال هائجاً فلم يعثر الفواصون
عليها ، فعاد بارنت إلى منزله تاركاً دون مع بقية
الأصدقاء يرقبون الطريقة ، فلم يكبد بخطو عتبة
الدار حتى وجد الطبيب خارجاً ، فقال له : « خير »
فأجابه الطبيب : « قد عملنا جهدنا ، ولكننا

لم نصل إلى نتيجة ، إنى أشاطرك هذا المصاب »
فلم يقدر الرجل شعور ذلك الطبيب كثيراً ،
إذ ظنه يتهمهم به ، ولا سيما وأنه كان واقفاً على
النزاع الأخير ، ثم أردف الطبيب قائلاً : « أرجو
ياسيد بارنت أن تنتهى من ذلك الأمر قريباً »

فأجابه بارنت قائلاً : « دعك من هذا الآن ،
وامض إلى الميناء فقد يكون اللبد دون فى حاجة
إليك » ، ثم دخل المنزل فرأى الخدم خارجين من
غرفة زوجه ، وقد بدا عليهم الحزن واليأس ،
فأسرع إلى الغرفة ووقف صامتاً برهة وهو ينظر
إلى السرير ، ثم مضى إلى غرفته الخاصة وظل
يقطعها فى خطى متتدة ثقيلة ، وقد شعر أن كل
شئ قد مات فى هذا البيت ، فلم يعد يسمع همساً
أو نفساً . فذهب إلى النافذة وأخذ يسرح نظره
فى البلدة الصاخبة ، فرأى الدخان يتصاعد من
إحدى المداخل البعيدة ، فأدرك أن لوسى تنهأ
لعمل الشئ كماداتها . ثم عاد إلى غرفة النوم

ولم يكن أحد قد سمع بموت زوجته ، ولم يرد أن يخبر صديقه « دون » في ساعة زواجه ، فقام بأعداد كل شيء بنفسه ، ولما انتهى من ذلك أسرع إلى الكنيسة فرأى « دون » و « لوسي » ساجدين أمام الهيكل وحولهما بعض الناس ، فتقدم إلى « دون » وهناك ، ثم التفت إلى « لوسي » وهو يتوقع أن يرى في عينها بريق الانتم والندم ، ولكنه وجدها مأخوذة بالموقف الجديد ، فهناها وانصرف ، فقال له « دون » :

— انتظر حتى تصحبنا إلى المنزل .

فأجاب بارت : « لا . لا . لست مستعداً لهذا . سأقف في الخارج مع الواقفين حتى تركبا العربا إلى المنزل — ثم أراقب ذلك الشعور الذي يغمرني عندئذ . فضحك الزوجان ثم ابتسم بارت وخرج فلما انتهت الحفلة وركب الزوجان وانصرف المدعوون مضى بارت في خطى متعثرة وفكر شارداً إلى مدافن البلدة وهناك انحنى على قبر زوجته يرفه عن نفسه بالبكاء ثم عاد إلى منزله وقد عزم على أمر عظيم

فلما استقر به المكان أرسل جملة رسائل إلى شركائه ثم دعا أحد المحامين وهو صديق قديم لوالده وطلب إليه أن يبيع له جميع أملاكه وأن يرسل إليه ثمنها وفي اليوم التالي كان بارت في طريقه إلى حيث تقوده قدمه

لكنه قبل أن يغادر البلدة أرسل إلى صديقه « دون » ينبئ بموت زوجته في الساعة التي وافاه فيها خطابه الذي يملأه فيه بزواجه من « لوسي »

إن عشرين عاماً لا تمضي دون أن تترك أثراً في

الصخر الجلود أو المدن الصلب ، ولكن هذه المدة وإن بدت طويلة في عمر الإنسان لا تذكر بجانب عمر الإنسانية ، ولا تترك فيها شيئاً وأخيراً بعد عشرين عاماً عاد بارت إلى موطنه الأول الذي لا يحول عنه ولا يتحول . فرأى وجوهاً غريبة ومعالماً جديدة ، ومضى يسأل عن شريكه القديم السيد « واتكنز » . فصادف ابنه فسأله عن والده فقال له الابن : « لقد مات أبي من مدة » — آه يؤسفني أن أسمع هذا — لقد تركت

هذه البلدة من زمن بعيد

— ولكن هل الشركة قائمة الآن ؟

— أجل إنها لا تزال قائمة ، ولكن أسقط منها اسم بارت . ذلك الاسم الخيالي الذي لا أعتقد أن صاحبه قد عاش بيننا وسامح في هذه الشركة — ألا يزال « أندروجون » يعمل مهندساً للشركة ؟

— أوه ! لقد مات يا سيدي

— وكيف حال قسيس كنيسة القديسة ماري مستر « مدروز » ؟

— لقد توفاه الله منذ سنوات عديدة

فصمت بارت برهة وقال : « كيف حال مستر « دون » المحامي ألا يزال يعمل في المحاماة »

— لا يا سيدي ، لقد مات منذ سبع سنوات

فصمت بارت ثانية ، وشعر بقشعريرة تسرى في بدنه ثم قال : « وهل مسز دون لا تزال على قيد الحياة ؟ » قال هذا وهو يكاد يقضم شفثيه بأسنانه

— نعم إنها لا تزال حية وتقيم في المنزل القديم

— مع أطفالها طبعاً

زوجي قد مات منذ أمد بعيد وأنى أعيش وحيدة
الآن اللهم إلا بمض زيارات من بنات زوجي مستر
« دون »

— وقد أصبحت أنا شيخاً وحيداً

— أين قضيت هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا
اختفيت عنا فجأة ؟

— حسن يا لومى ، لقد أمت مدة في أمريكا
وزمناً في استراليا . وسنوات في الهند ، وفترة في
جنوب إفريقيا ، وهكذا فلم أمكث في مكان واحد
كأترين

أما لماذا اختفيت فجأة فأنت تعرفين السبب .
ألم تفكرى مرة ؟

— لا — لم أفكر — ولا أى واحد آخر قد
فكر في هذا

— حسن . فكبرى الآن . ثم انظري إلى
وأخبريني إن كنت لا تعرفين

فنظرت إليه لومى في ابتسامة رقيقة وقالت :
« أظن أنه ليس من أجلى »

فهز الرجل رأسه وابتسم ابتسامة حزينة فقالت :
— ألانى تزوجت « دون » ؟

— نعم ، وفي اليوم الذى أصبحت فيه حراً
لأن أطلب يدك . إذ مات زوجي قبل ذهابك مع

« دون » الى الكنيسة بعشر ساعات ، ولقد ذهبت
إليك عقب فراغى من الدفن

فألقت عليه لومى نظرة كلها حب وعطف
وقالت : « لم أفكر في هذا ، ولكنى أعرف أنك

أظهرت لى بعض الشعور الطيب مرة ؛ ثم إنى لم أتزوج
إلا وأنا أعتقد أن زوجك لا تزال حية . أظنك في

حاجة الى الشاى . لقد اعتدت أن أشرب الشاى

— لا — ليس لها أطفال — إلا بنات زوجها
« دون » من زوجها الأولى ، وقد تزوجن كلهن
فهى تعيش الآن وحيدة
— وحيدة ؟

— نعم يا سيدى وحيدة
فشكره الرجل وانصرف ، ومضى إلى الفندق

فتناول غداءه ثم ارتدى ملابسه وحقاق ذقنه وخرج
إلى بيت لومى كما كان يفعل قبل ذلك بعشرين عاماً

فلما وصل إلى الدار وجد نوراً ضئيلاً ينبعث
من إحدى الغرف ، والسكون يخيم على المنزل فدنا

من الباب وقرعه فأسرع الخادم وفتحه وقال :
« ما اسمك يا سيدى ؟ »

— صديق قديم
فمضى الخادم وأخبر سيده بذلك . فقالت له :

« ماذا يشبه ؟ »
فأجابها الخادم . « إنه رجل قد وخط الشيب

فوديه »
فنهضت المرأة التى كانت يوماً ما الفتاة « لومى »

وقد ذبت الوردتان اللتان كانتا على خديها وعرف
الشيب طريقه إلى شعرها . ولكن عينيهما لم تفقدا

سحرهما وقوتهما ولم تستطع المشروبات عاماً أن
تذهب بكل ذلك الجمال وذلك السحر

— ألا تعرفيننى يا لومى ؟
— لقد عرفتك منذ رأيتك — إنى لأعرف

لماذا كنت أفكر دائماً فى عودتك — لقد قالوا
إنك مت ، ولكن لم أصدق قولهم

— آه لقد مضى زمن طويل على لقائنا الأخير
— نعم . ماذا رأيت فى طوافك بجانب

ما رأيت فى هذا المكان المنزل . إنك تعرف أن

بدلاً من المشاء منذ وفاة زوجي فهل تسمح وتتناوله
ممي ؟ »

فأظهر الرجل رغبته في الشاي وسرعان ما أعد
لها . فجلسا يشربان ويتحدثان ثم أخذ بارت يسرح
بصره في الغرفة وأخيراً قال :

— أرى تغيراً في نظام الغرفة . ففي مكان
« البيان » الآن كان يقوم بمض أوراق الحائط وبها
بعض البطاقات والرسائل ، وفي ذلك الركن قرأت
ذلك الخطاب الذي أرسله إلى دون منذ عشرين
عاماً يعلمني فيه بزواجه منك . فتركت المنزل ولم
أعد إليه إلا الآن

— آه لقد فهمت كل شيء .

ثم أوقد المدفأة واستأنفا الحديث ، وأخيراً
قال بارت : « لوسى ! إن بعض الشيء أفضل من
لا شيء ، فان كان الوقت قد فات فان ما بقى فيه
خير من عدمه . هل تتزوجين مني الآن ؟ »

فتراجعت المرأة مندهشة . ولكنها لم تكن
تجهل الموقف تماماً ثم قالت :

— ماذا ؟ إنى لا أتزوجك ولو وهبتني هذه

الدنيا كلها

— حتى بعد هذا ؟

— لو أنى كنت أفكر في الزواج لفضلتك

على سواك ولكنى لا أفكر فيه الآن ولا بعد الآن

— ولكن ألا تغيرين من رأيك هذا ؟

-- إنك لا تدري ماذا تقول . إنى لا أستطيع

أن أقول إنه كلام مضحك لأنى أراك تتكلم جداً

ولا أستطيع أن أصف الجد بالزاح

— أجل إنى جاد . فقد فكرت في هذا منذ

شهرين وأنا في مدينة « الرأس » لكنى أجد منك

إغفاء وسداً . إنى أتكلم جداً

— وإنى أعارض في أية فكرة في الزواج

— حسن فلأنصرف ، مادام الأمر كذلك .

ثم نهض يتأهب للخروج ، فأعانتته على لبس معطفه
وودعته حتى الباب

فقال لها : أسمعك مساء . أرجو ألا أكون
قد أسأت إليك

— لا ، لا ، بل إنى أرجو منك هذا

فابتسم قليلاً وقال : « سأقلب أوجه الرأى
وأرى فيما بعد . أسمعك مساء »

ثم رافقته حتى اختفى في الطريق فمادت الى

غرفتها وأوصدت الباب دونها ثم استلقت على

فراشها وأخذت تستعيد صور ما حدث منذ لحظة .

وكيف تلقى صاحبها ذلك الرفض في ثبات وهدوء

كأنه كان يعتقد أنه لا يستحق إلا هذا . لقد كان

رجلاً في هذا الموقف . بل كان أكثر من رجل .

ثم نهضت الى المراة وأخذت تتطلع فيها فرأت أنها

لا تزال تحتفظ بكثير من جمالها القديم . ثم بدا لها

رأى جديد

أخذت ترقب عودته يوماً بعد يوم ولكن

كبرياءه أثبت عليه أن يعود إليها . وقد أخبرها أنه يقيم

بالفندق . فلما طال الانتظار ذهبت اليه تسأل عنه

فقال لها إنه غادر المدينة في الصباح ولم يحتفظ بمفرقته

— ألم يترك عنوانه ؟

— لا

فمادت الى منزلها ساهرة مهمومة موطنة العزم

على الانتظار

فانتظرته الأيام والسنين ولكنه لم يمد

نظمى خليل